

فقه الدعوة المتعلقة بدعوة أهل الكتاب من خلال كتاب التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى (دراسة استقرائية)

إعداد

أ/ ظافر بن محمد بن عبدالله الشهري

باحث دكتوراة في العقيدة والدعوة قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز - السعودية

أ.د/ سعيد بن أحمد بن علي الأفندي

الأستاذ بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، المملكة العربية السعودية

مجلة الدراسات التربوية والإنسانية، كلية التربية، جامعة دمنهور
المجلد السادس عشر، العدد الثاني (أبريل) - لسنة 2024

فقه الدعوة المتعلقة بدعوة أهل الكتاب من خلال كتاب التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله (دراسة استقرائية)

أ/ ظافر بن محمد بن عبدالله الشهري
أ.د/ سعيد بن أحمد بن علي الأفندي

المخلص

قام الباحث بدراسة المضامين الدعوية المتعلقة بدعوة أهل الكتاب من خلال ما ألفه الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه التفسير المنير، وقد اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت المقدمة توطئة عن المقصود بأهل الكتاب وهم (اليهود والنصارى) ثم تطرق الباحث في المبحث الأول إلى ذكر أهم ما ورد من معالم وسمات إعراض أهل الكتاب وخاصة اليهود مما جاء في كتاب الله وذلك بذكر سوء أدبهم مع ربهم كنسبة الولد إليه سبحانه ووصفهم لهم بالفقر والبخل، وقسوة قلوبهم عن الآيات الكونية والشرعية وقتلهم الأنبياء والمصلحين وكتمان الحق وتحريفهم له وإفسادهم في الأرض واستعلائهم عن بقية الخلق وانحطاط أخلاقهم مع نبيهم ومع المسلمين، ثم انتقل الباحث في المبحث الثاني إلى ذكر السمات الإيجابية التي ورد ذكرها في كتاب الله عن بعض أهل الكتاب وخاصة النصارى مما يحفز الداعية إلى بذل الجهد والاستفادة من تلك السمات في دعوته لهم كالإيمان بوجود الله والبعث والنشور ووجود من يؤمن بالكتب والرسول، وكذلك ما أتى الله به على النصارى من التودد للمؤمنين واتصافهم بالرأفة والرحمة والانقياد للحق، ثم بعد ذلك يأتي في المبحث الثالث ذكر أهم معالم دعوتهم من خلال بيان أهمية التوحيد ونبذ الشرك وإبطال عقيدة التثليث عند النصارى ومجادلتهم وإبراز النماذج المهتدية ثم ختم البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، أهل الكتاب، التفسير، الزحيلي، المعالم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن استن بسنته وسار على هديه إلى يوم الدين ، وبعد:

فمع ثورة الاتصالات والمواصلات وتداخل المصالح بين دول العالم حتى أصبح قرية واحدة كما يسمى، واختلاط المسلم بغير المسلم وخاصة من أهل الكتاب بما تقتضيه المصالح بينهما تعليماً وصحة واقتصاداً وسياحة، كان لزاماً على كل مسلم عموماً وعلى الدعاة خصوصاً الاهتمام بهذا الصنف من المدعويين ، وهو أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ من حيث سماتهم ووصف معالم إعراضهم ، والسمات الإيجابية في شخصيتهم ، للوقوف على أسباب انحرافهم ، وتلبية احتياجات الداعية في دعوته لهم .

مشكلة البحث :

بالنظر إلى أهمية الدعوة إلى الله، وكثرة الأدلة من الكتاب والسنة في فضلها، فإن العمل الدعوي الميداني يتطلب دراسة منهجية، وفقهاً دعوياً يضبط العمل حتى لا تكون نتائجه عكسية، ومآلاته وخيمة تضر بالدعوة ولا تتفع.

وأول خطوة تحمي الدعوة إلى الله من الوقوع في الأخطاء بإذن الله هي الرجوع إلى الكتاب والسنة، وجعلهما المرجعية الدائمة للداعية في كل ما يصادفه في طريق دعوته إلى الله تعالى . ومما لا يخفى أن تفسير كتاب الله - عز وجل - من أهم العلوم التي ينبغي للداعية المتخصص العناية بها، لكونه السبيل الأمثل لتزويد الداعية بفقهِ دعوي يستتير به في دعوة الناس إلى سبيل الهدى والرشاد ؛ ومن التفاسير المعينة في هذا الصدد كتاب " التفسير المنير " للدكتور وهبة الزحيلي -رحمه الله-، وهو من الكتب المعاصرة التي جمعت بين بساطة الأسلوب واستيعاب البيان ، فكان بهذا مرجعاً مهماً لطلبة العلم والدعاة إلى الله تعالى في العصر الحديث وسوف تجيب هذه الدراسة على أهم التساؤلات ، منها:

1. من هم الفئة المقصودة بالبحث؟

٢. ما أهم المعالم لإعراض أهل الكتاب؟

٣. ما السمات الإيجابية لأهل الكتاب؟

4. ما معالم دعوة أهل الكتاب وكيف يتم التعامل معهم ؟

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم أهل الكتاب.
2. ذكر أهم المعالم والسمات لإعراض أهل الكتاب.
3. تسليط الضوء على السمات الإيجابية في شخصية أهل الكتاب.
4. بيان الفقه الدعوي المتعلق بدعوة أهل الكتاب وكيفية التعامل معهم في كتاب التفسير المنير .

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في جوانب عديدة ومنها على سبيل المثال:
أولاً: أن هذا الموضوع يمس اهتمام جميع الدعاة إلى الله ممن يمارسون العمل الدعوي، فالداعية إلى الله يأنس ويستجمع انتباهه لكل ما يساعده في دعوته ومنها كثرة القراءة في هذا المجال.
ثانياً: أن الداعية مأمور بأن يدعو إلى الله على بصيرة، ولن يتحقق ذلك إلا بالعلم بالكتاب والسنة التي ينطلق منهما في دعوته.

ثالثاً: إرشاد الدعاة إلى الاستفادة من كتب التفسير المعينة على فهم مراد الله، وتدبر كلامه، والعمل به، حتى يكون الداعية مستحضراً ومستظهراً للشواهد القرآنية في دعوته.
رابعاً: الحاجة إلى تقديم دراسة دعوية تكون مادتها تفسير أحد العلماء الأعلام المعاصرين، ممن عاصر زماننا ورأى ما يحدث في المجتمعات المعاصرة، فتكون كلماته ملامسة للواقع الذي يعيشه الدعاة إلى الله.

خامساً: إبراز مفهوم الفقه الدعوي ضمن مجالات التفسير المتعددة التي تناولها علماء التفسير قديماً وحديثاً كالتفسير الفقهية والبلاغية والموضوعية وغيرها.

منهج البحث:

سيكون البحث بمشيئة الله قائم على المنهج الاستقرائي؛ وذلك باستقراء وحصر الشواهد والمضامين الدعوية المتعلقة بدعوة أهل الكتاب من خلال كتاب التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي.

وستكون الطريقة المتبعة في البحث على النحو التالي:

- 1- عَزُو الآيات القرآنية إلى مواضعها، بكتابة رقم الآية واسم السورة في المتن حتى لا تكثر الهوامش.
- 2- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإلا خرجته من كتب الحديث والآثار المعتمدة في ذلك، مع بيان كلام العلماء عليه صحة وضعفا.
- 3- توثيق النقول إلى مصادرها الأصلية، إلا إذا كان القول منقولاً عن مصدر مفقود، أو تعذر الوصول إليه فأجتهد في توثيقه من المصادر الأخرى.
- 4- التعريف بالكلمات والمصطلحات الغريبة الواردة بالبحث وتشكيلها إن وجد.
- 5- ترتيب المصادر والمراجع ترتيباً هجائياً بحسب اسم الكتاب.

حدود البحث:

سيكون ميدان البحث بمشيئة الله مقتصراً على ثلاثة محاور:

- 1- المواضيع الدعوية المتعلقة بدعوة أهل الكتاب.
- 2- من خلال الإنتاج العلمي للدكتور وهبة الزحيلي -رحمه الله-.
- 3- من خلال كتابه التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.

هيكل البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول : معالم إعراض أهل الكتاب .

المبحث الثاني : السمات الإيجابية في أهل الكتاب .

المبحث الثالث : معالم دعوة أهل الكتاب وكيفية التعامل معهم .

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث، والتوصيات التي توصل لها الباحث.

تمهيد :

المقصود بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وقد سُموا بذلك لانتسابهم إلى كتبهم المنزلة على أنبيائهم، فاليهود هم الذين آمنوا برسالة موسى ع ، والنصارى هم الذين آمنوا برسالة عيسى ع ، قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۝١٥٦﴾ [الأنعام: 156]، يقول الزحيلي: «إنما اقتصر إنزال الكتاب على من قبلنا من اليهود والنصارى»⁽¹⁾، وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: 109]، يقول الزحيلي: «تمنى كثير من اليهود والنصارى أن يصرفوا المسلمين عن دينهم وأن يعودوا كفاراً بعد أن كانوا مؤمنين»⁽²⁾.

وأهل الكتاب هم من أصناف المدعويين الذين جاء ذكرهم في كتاب الله بمزيد من الاهتمام والتفصيل، بل إن الله سبحانه وضع معالم واضحة في طريقة التعامل معهم في مواضع كثيرة، وقد كان النبي ع يحرص على دعوتهم لكثرة العناصر المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب، يقول الزحيلي في بيان قوله تعالى: ﴿أَفْتَضَمُّونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: 75]، «حرص النبي ع وصحابته على انضمام أهل الكتاب (اليهود والنصارى) إلى دعوته والإيمان برسالته في مواجهة المشركين، لوجود جسور النقاء معهم من الإيمان بوجود الإله والتصديق بالأنبياء وبالبعث واليوم الآخر»⁽³⁾.

وسوف يتم تناول هذا البحث من خلال المباحث الثلاثة التالية :

المبحث الأول: معالم إعراض أهل الكتاب .

المبحث الثاني: السمات الإيجابية في أهل الكتاب .

المبحث الثالث : معالم دعوة أهل الكتاب .

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت:1436هـ)، دار الفكر، دمشق، ط1، 1411هـ، (8/ 110).

(2) المرجع نفسه (1/ 270).

(3) المرجع نفسه (1/ 198).

المبحث الأول

معالم إعراض أهل الكتاب

من المهم للداعية أن يتعرف على شخصية من يدعوه ليعرف مكامن الخلل، وفي حال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ينبغي أن نستقرئ ما ورد من سماتهم في كتاب الله Y ، وأن نعرف السمات المشتركة والسمات الخاصة حتى يستطيع الداعية أن يحسن التعامل معهم في دعوته.

وفي السرد القادم لأهم تلك الصفات سنجد أن الشخصية اليهودية هي الأظهر والأكثر والأشد حدة تجاه الحق من الشخصية النصرانية، بل إنَّ الله أثنى على بعض الجوانب السلوكية عند النصارى مما يلفت انتباه الداعية إلى أن استجابتهم للدعوة أسرع وأيسر من اليهود، يقول الزحيلي : «أخلاق اليهود وطباعهم وعرة صعبة غريبة، فهم لا يذعنون للحق، وإنما يجادلون فيه، وينحازون عنه إلى المطالبة بأمور على سبيل التعجيز ، والإلحاد والعناد والمراوغة والتعنت، فقد سألوا النبي ﷺ إنزال كتاب مكتوب من السماء دفعة واحدة إلى فلان وفلان يؤيد ما يدعيه ويصدقه فيما يقول؛ تَعَنُّتًا كما أتى به موسى، وطلبوا من موسى أن يريهم الله تعالى رؤية جهرة عياناً، واتخذوا العجل إلهاً بالرغم من الأدلة القاطعة التي أيدَّ الله تعالى بها موسى U من اليد والعصا وقلق البحر وغيرها، التي تدل على أنه لا معبود إلا الله عز وجل»⁽⁴⁾ ، وسيظهر ذلك من خلال المعالم التالية لإعراض أهل الكتاب عن دعوة الحق :

أولاً: سوء الأدب مع الله تعالى

وهذا يدل على الانحراف الشديد، وعدم قدرهم لله حقَّ قدره، ويتضح ذلك في الصور الآتية:

1.نسبة الولد إلى الله: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِثُونَ ۝١١٦﴾ [البقرة: 116]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ

(4) التفسير المنير (6/ 23)

قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة: 30]، يقول الزحيلي : «أثبتت الآيات أن أكثر اليهود وأكثر النصارى مشركون لأنهم نسبوا الابن لله، مقلّدين في ذلك مَنْ سبقهم من الكفار ؛ كمشركي العرب الذين كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك، فإنَّ حكاية الله عنهم أصدق، ولعل هذا المذهب كان فاشياً فيهم، ثم انتهى»⁽⁵⁾ .

2. **وَصَفَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِالْفَقْرِ تَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ:** يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ [آل عمران: 181]، يقول الزحيلي : «هذه الآيات تسجيل لبعض قبائح اليهود، فإنه تعالى سمع قولهم الشنيع وسيعاقبهم عليه أشدَّ العقاب، وهو تهديد ووعيد على مقاتلتهم، وهي نسبة الفقر إلى الله ، والغنى إلى أنفسهم، ولكنه تعالى سيجازيهم على ذلك، إذ يلزم من كتابة الذنب وحفظه إنزال العقوبة عليه»⁽⁶⁾ . فما أعظم جُرمهم وكفرهم بنعم الله، إذ يرونها كالشمس في رابعة النهار ، تدلُّ دلالة واضحة على عظم خزائنه لا تُنقصها نفقة، كما جاء في حديث أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال: (يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار . وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده . وقال : وكان عرشه على الماء ، وببده الأخرى الميزان يخفض ويرفع)⁽⁷⁾ .

3. **وَصَفَّ اللَّهُ بِالْبُخْلِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا:** وهذه تلتحق بسابقتها في خسة اليهود وجراتهم على الله ، قال الله Y : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: 64]، يقول الزحيلي : «وصفوا الله تعالى بأنه فقير وهم أغنياء، ووصفوه بالبخل بقولهم: يد الله مغلولة أي إن الله بخيل. وغل اليد: مجاز عن البخل، ويد الله مغلولة: بخيلة وبسطها: كناية عن الجود والكرم ... ورد الله عز وجل عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلقوه

(5) التفسير المنير (10/ 186)

(6) المرجع نفسه (4/ 186)

(7) صحيح البخاري . كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {لما خلقت بيدي}، (2697/6)ح(6976)

وافتروه، ودعا عليهم بالبخل والطرده من رحمته، فقال: غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وهو دعاء عليهم بالبخل والنكد والإمساك عن الخير، فكانوا أبخل خلق الله وأنكدهم» (8).

ثانياً: قسوة القلب :

وهي من أبرز سمات اليهود التي صرح بها الله سبحانه في كتابه بل جعل قلوبهم أقسى من الحجارة، والسبب في ذلك أن الله تعالى أرسل لهم من الآيات والعبر ما تذوب منه القلوب خوفاً وهلعاً ، وأرسل لهم من الأنبياء ما لم يرسل لأمة غيرهم ، ومع ذلك فإنه يعتبر ولم يتعظ بما أرسله سبحانه إليهم إلا قليل منهم، قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٧٤﴾ [البقرة: 74]، يقول الزحيلي : «بالرغم مما رأى اليهود من الآيات والمواعظ السابقة، كانفجار الماء ورفع الجبل، والمسح قرده وخنازير، وإحياء القتيل، فإن قلوبهم قست وامتنعت عن قبول الحق، فهي تشبه في الصلابة الحجارة، بل أشد قسوة منها، وأصبحت بفقد تأثرها بالآيات وتفاعلها بالمواعظ والعبر، كأنها جمادات، بل إنها تدنت عن درجة الجماد أيضاً، لأن الحجارة قد ينفجر منها الماء، ويسيل أنهاراً تحيي الأرض وتنفع النبات، وقد تتشقَّق فيسيل منها ماء بسيط فيكون عينا لا نهراً ... بالرغم من كل تلك المؤثرات والعظات والعبر، لم يزد اليهود إلا عناداً وفساداً، ولكن الله تعالى حافظ لأعمالهم ومحصياها لهم، ثم يجازيهم بها. وفي هذا غاية التهديد والوعيد» (9).

وقال الله في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ٨٧ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨﴾ [البقرة: 87-88]، يقول الزحيلي : «اليهود قساة القلوب، عبدة المصالح المادية، والأهواء الذاتية، فتجددت فيهم الإنذارات الإلهية، وأرسلت إليهم الرسل، بعضهم إثر بعض، فكان بنو إسرائيل

(8) التفسير المنير (6/ 251) بتصرف.

(9) المرجع نفسه (1/ 194) بتصرف.

أكثر الشعوب حظاً في عدد الرسل الذين أرسلوا إليهم، ومع ذلك كانوا ينسون الإنذارات، ويحرفون الشرائع، ويتبعون أهواءهم، ويعصون رسلهم، إما بالتكذيب وإما بالقتل⁽¹⁰⁾. ولأجل ذلك قلّ المهتدون منهم، فلا تسمع فيهم من استجاب لدعوة داعٍ إلا من أراد الله هدايته، وقليل ما هم.

ثالثاً: كتمان الحق

وما كتمانهم للحق إلا نتيجة لما استكن في أخلاقهم وطباعهم من العناد والمكابرة، فهم يعلمون علم اليقين أن للحق قوة في التأثير، ونفوذاً إلى قلوب متلقّيه، ولذلك يلجؤون إلى كتمانهم وإبعاده عن الناس، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: 146]، يقول الزحيلي: «وأهل الكتاب يكتُمون الحق يعني محمداً ع، ويعلمون نبوته، وهذا ظاهرٌ في صحّة الكفر عناداً، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة: 89]»⁽¹¹⁾. وقال في موضع آخر موضّحاً أنّ الذي قام بكتمان الحق هم علماءهم الذين ينبغي أن يكونوا أمناء حريصين على تبليغ شريعة الله لأتباعهم: «عاد القرآن إلى كشف موقف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في عناد النبي ع ومعاداتهم إياه، ولا سيما علماء اليهود وأخبارهم، وما تضمّنه موقفهم من أنهم يعرفون النبي ρ كما يعرفون أبناءهم، وأنهم يكتُمون الحق وهم يعلمون»⁽¹²⁾، ثم ذكر الزحيلي صور كتمان الحق، فقال: «إن الذين يكتُمون ويخفون ما أنزل الله- إما بعدم ذكر نصوصه للناس حين الحاجة إليه أو السؤال عنه، كالبشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الموجودة في سفر التثنية، وإما بتحريف الكلم عن مواضعه حين الترجمة،

(10) التفسير المنير (1/ 220)

(11) المرجع نفسه (28 /2)

(12) المرجع نفسه (51 /2)

ووضع شيء مكذوب من عندهم مكانه -سواء في التوراة والإنجيل- جزأؤهم الطرد من رحمة الله،
وغضب الله عليهم، ولعنهم من الملائكة والناس أجمعين» (13).

رابعاً: تزكيتهم لأنفسهم

وهي من السمات الدينية التي كانت من أعظم أسباب صدّهم عن دين الله ، وهي تدلّ على كبرهم واستعلائهم على بقية الخلق ، وقد ظهرت في اليهود بصورة أظهر من النصارى ؛ وذلك بسبب العنصرية المتجذّرة في فكر أتباع الديانة اليهودية ، ويظهر ذلك في عدة مواضع منها:

● **احتقار جنس العرب:** لأنهم شعب الله المختار -كما زعموا- ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٥﴾ [آل عمران: 75]، يقول الزحيلي : «والذي حمل هذه الطائفة من اليهود على الخيانة ، زعمهم أنّ التوراة تبيح لهم أكل أموال الأميين وهم العرب، قائلين: إنه لا تبعه ولا إثم عليهم في أكل أموال العرب بل وكلّ ما عدا اليهود، إذ هم شعب الله المختار، فلهم السمؤ والنقوؤ العنصري على غيرهم، وأما من سواهم فلا حرمة له عند الله، فهو مبعوض عنده، محتقر لديه، ولا حق له ولا حرمة. روي أن بني إسرائيل كانوا يعتقدون استحلال أموال العرب لكونهم أهل أوثان، فلما جاء الإسلام، وأسلم من أسلم من العرب، بقي اليهود فيهم على ذلك المعتقد، فنزلت الآية مانعة من ذلك» (14)

(15)
« .

● **قولهم أن الجنة ليست إلا لهم:** كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١١١﴾ [البقرة: 111]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٩٤﴾ [البقرة: 94]، يقول الزحيلي : «أمر النبي ع أن يقول لليهود: إن كنتم صادقين في

(13) المرجع نفسه (51/2).

(14) البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صديقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ (500/2).

(15) التفسير المنير (3/ 266).

دعواكم أن الجنة خالصة لكم من دون الناس، وأن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودات، وأنكم شعب الله المختار، فاطلبوا الموت الذي يوصلكم إلى ذلك النعيم الخالص الدائم الذي لا ينازعكم فيه أحد، إذ لا يرغب الإنسان عن السعادة ويختار الشقاء. ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك، ما بقي على الأرض يهودي إلا مات. قال ابن عباس: «ولو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه»⁽¹⁶⁾.

• ادعائهم خصوصية الهداية بما يدينون به: كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾ [البقرة: 135]، يقول الزحيلي: «ندد المولى سبحانه بتمسك أهل الكتاب بفوارق الدين الجزئية، فقال لليهود: كونوا مع اليهود في دينهم تهتدوا إلى الطريق السوي، وقال النصارى: كونوا مع النصارى تصلوا إلى الحق، وأتباع كل دين يدعون أن دينهم خير الأديان، فأجابهم الله بقوله: تعالوا إلى ملة إبراهيم الذي تدعون أنكم على دينه، فهي الملة التي لا انحراف فيها ولا اعوجاج، ولم يكن إبراهيم ممن يشرك بالله سواه من وثن أو صنم»⁽¹⁷⁾.

• ادعائهم محبة الله لهم: كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ١٨﴾ [المائدة: 18]، يقول الزحيلي: «فابن الله في كتبهم بمعنى حبيب الله، وحملوا هذا على غير تأويله وحرّفوه، وردّ عليهم عقلاؤهم الذين أسلموا بأن هذا يطلق على التشريف والإكرام. ومن المعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لدى الله، وحظوتهم عنده، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. فردّ الله عليهم عن طريق نبيه: قل لهم: إذا كان الأمر كما زعمتم، فلم يعذبكم الله بذنوبكم في الدنيا، كتخريب الوثنيين مسجدكم الأكبر وبلدكم بيت المقدس، وإزالة ملككم من الأرض، وفي الآخرة التي أعدّ لكم فيها نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟ والأب لا يعذب ابنه، والحبيب لا يعذب حبيبه، فلستم إذن أبناء الله ولا أحباؤه، بل أنتم بشر من جملة ما خلق،

(16) التفسير المنير (1/ 230).

(17) المرجع نفسه (1/ 323-324).

ولا يحابي أحداً من عباده، وإنما يغفر لمن يشاء ممن يستحق المغفرة وهم أهل الطاعة، ويعذب من يشاء ممن يستحق العذاب، وهم العصاة، وهو فعّال لما يريد، لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب، فارجعوا عن غروركم بأنفسكم وسلفكم وكتبكم، فهذا لا ينفعكم، وإنما الذي ينفعكم (18)

● قولهم بأنهم لن يُعذبوا بالنار إلا أياماً قليلة: وكأنّ الله أخبرهم بذلك ووعدهم به ، وهو ما نقله عنهم سبحانه بقوله : ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: 80]، قال الزحيلي : «ومن مزاعم اليهود ادّعاؤهم أنّ النار لا تمسّهم إلا في أيام قليلة معدودة، هي أربعون يوماً مدة عبادتهم العجل، وأكثر اليهود على أنّ النار تمسّهم سبعة أيام فقط، لأن عمر الدنيا في زعمهم سبعة آلاف سنة، فمن عذب في النار ولم يحظ بالنجاة، يمكث في النار سبعة أيام عن كل ألف سنة يوم. فردّ الله عليهم: هل عهد بذلك ربكم إليكم، ووعدكم به وعداً حقاً، فلن يخلف الله وعده، أم أنتم تقولون على الله شيئاً لا علم لكم به؟ أي أنّ مثل ذلك القول لا يصدر إلا عن عهد من الله، أو افتراء وتقول عليه، وبما أنه لم يحدث العهد من الله وهو الوحي والخبر الصادق، فأنتم كاذبون في دعوكم، مفترون حين تدّعون أنكم أبناء الله وأحبّاءه» (19)

● ادّعاؤهم براءة أنفسهم من الذنب: وكأنهم يدّعون العصمة، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾ [النساء: 49]، يقول الزحيلي : «ألم تنظر إلى حال الذين يمدحون أنفسهم، ويدّعون ما ليس فيهم، ويقولون: نحن أبناء الله وأحبّاءه، ونحن شعب الله المختار، ولا تمسّهم النار مهما فعلوا إلا أياماً معدودات، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وإنّ أبناءنا توفوا وهم لنا قربة، وكذلك آباؤنا يشفعون لنا ويزكّوننا، لكرامتهم على الله، والتركية: التطهير والتبرئة من الذنب. وقد ردّ الله دعواهم بأنه لا قيمة لتركيبتهم أنفسهم، فإنّ التركيبة تكون بالعمل الصالح، لا بالادعاء، والله هو الذي يزكّي من

(18) التفسير المنير (139/6)

(19) المرجع نفسه (204/1)

- (20) . يشاء من عباده بتوقيفه للعمل الصالح، وهدايته إلى العقيدة الصحيحة، والآداب الفاضلة»
والخلاصة أن كل ما سبق إنما يدل دلالة واضحة على أنهم يرون أنفسهم مختلفين عن بقية
البشر؛ استعلاءً وبطراً واحتقاراً لمن حولهم، وكانت نتيجة نظرتهم الاستعلائية هذه أن أتباع
الديانة اليهودية في العصر الحديث تركوا ما كان عليه أسلافهم من التبشير بدينهم طلباً
لهداية الناس ؛ لأنهم صاروا في هذا العصر يرون أن اليهودية مرتبطة بالعرق أو القومية
القائمة على النسب الممتد إلى إسرائيل هكذا -زعموا- لتدعيم فكرة أرض الميعاد
والصهيونية⁽²¹⁾

خامساً: نقض العهود والمواثيق :

وهذه الصفة هي نتيجة ما تأصل فيهم من خسة الطباع ؛ فهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، قال
الله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٠﴾ [البقرة:100]، قال
الزحيلي : «كلما عاهدوا عهداً مع الله، أو مع رسول الله نقضه فريق منهم: الذين عاهدت منهم، ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة [الأنفال / 8 / 56] بل نقضه أكثرهم، ولم يوفوا به، فاليهود غادرون بمن
ائتمنهم، خائنون للأمانة، ناقضون للعهود أو العقود والمواثيق، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن
آبائهم، فنقضوه، وأكثرهم لا يؤمنون بالتوراة، وليسوا من الدين في شيء، فلا يعدون نقض المواثيق
ذنباً، ولا يبالون به، ولن يؤمنوا أيضاً بالنبي ع وبالقرآن، كأنهم لا يعلمون أن التوراة كتاب الله، لا
يدخلهم فيه شك، يعني أن علمهم بذلك رصين، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم»⁽²²⁾ .

(20) المرجع نفسه (110 /5)

(21) ردت مجموعة من الكتب والمقالات التي تثبت أن اليهودية كغيرها من الديانات لها تنوع عرقي يحض أذوبة انحصارها في
عرق واحد ؛ وهو ما يدل عليه حال انتشارهم في دول العالم واختلاف أجناسهم، بل إن القرآن أثبت أنهم كانوا حريصين على دعوة
الآخرين إلى دينهم كما في قوله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ٢١]، وادعاهم الهداية لمن
اتبع دينهم: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا} [البقرة: 135]، ينظر: التجانس اليهودي والشخصية اليهودية للدكتور عبدالوهاب المسيري،
ومقال بعنوان: اليهودية ديانة قومية أم تبشيرية؟ للدكتور حسين بودميع في مجلة البيان من العدد (344) ربيع الثاني 1437هـ.

(22) التفسير المنير (1/ 239)

سادساً: الكذب والافتراء :

وهي من السمات التي تفرّعت منها سمات كثيرة سيئة ؛ كنقض العهود وخيانة الأمانة وتحريف الكلم وغيرها، يقول الله Y: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: 78]، يقول الزحيلي : «لم يكتفوا بالتعريض ولكنهم يصرّحون بنسبة الكلام إلى الله كذباً، لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم، ويأسهم من الآخرة. وبناء عليه سجّل الله تعالى عليهم صفة الكذب الدائمة الملازمة لهم ، وهي افتراء الكذب على الله عمداً، لا خطأ لأنهم يعلمون تمام العلم أنه كذب وافتراء محض، فهذه الجملة تنعي عليهم قبيح ما يرتكبون من الكذب»⁽²³⁾ .

سابعاً: الحسد والحقد :

وهي نتيجة طبيعة لمن يعتقد أنه المختار والمصطفى من بين البشر استكباراً وغروراً، فهو يمتلئ حقداً وحسداً إذا رأى غيره قد آتاه الله من فضله، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ [البقرة: 109] ، يقول الزحيلي : «أخبر الله تعالى بأن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، وبأن محمداً هو خاتم الأنبياء وهو المبشّر به عندهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146] . فصاروا شيعاً ومذاهب يقتتلون في الدين، وتفرقت كلمتهم في شأن محمد ع بعد ما جاءهم العلم اليقيني بنبوته، وبأن الدين واحد لا مجال للاختلاف فيه، إلا بسبب البغي والحسد، فكان ذلك سبباً للفرقة، وكان اختلافهم في شأن محمد حسداً من عند أنفسهم، وبغياً بينهم، وحرصاً على الدنيا وما فيها»⁽²⁴⁾ .

(23) التفسير المنير (3/ 272)

(24) المرجع نفسه (3/ 180)

ثامناً: قتلهم الأنبياء والدعاة :

وهي من السمات المتعلقة باليهود وهي نتيجة طبيعية لقسوة قلوبهم ، وهذا إنما يدل على المدى البعيد الذي وصلوا إليه من الإجرام والضلال ؛ فلم يكتفوا بالصدّ عن آيات الله تعالى والإعراض عنها بل وصل بهم الأمر إلى قتل رسل الله الذين أرسلهم الله لإنقاذ البشرية من النار ، ومن جاء بعدهم من الدعاة الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر ، والعياذ بالله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [آل عمران: 21]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٥٥﴾ [النساء: 155]، يقول الزحيلي : «اليهود كانوا قتلوا الأنبياء والحكماء أو العلماء، وكفروا بآيات الله وشرائعه التي بلّغتها إياهم الرسل، استكباراً عليهم وعناداً لهم، وتعاضماً على الحق، واستكفافاً عن اتّباعه، فذمّهم الله على ماثمهم»⁽²⁵⁾.

تاسعاً: تحريفهم ما أنزل الله في التوراة وليّ أسنتهم بالكلام :

وهو امتداد لسماتهم الذميمة وقلوبهم القاسية، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْنَتِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ٤٦﴾ [النساء: 46]، يقول الزحيلي : «يحرفون الكلم الذي أنزله الله في التوراة عن مواضعه الأصلية، إما بأن يحملوه على غير معناه الذي وضع له، كتأويل البشارات الواردة في النبي صلى الله عليه وسلم، وتأويل ما ورد في المسيح وحمله على شخص آخر، لا يزالون ينتظرونه إلى اليوم، وإما بنقل كلمة أو جملة من الكتاب ووضعها فيه في موضع آخر، فقد خلطوا ما أثير عن موسى عليه السلام بما كتب بعده بزمن طويل، كما خلطوا كلام غيره من أنبيائهم بكلام آخر ، دونه واضعو التوراة الحالية، بدلاً عن التوراة المفقودة باعترافهم»⁽²⁶⁾.

(25) التفسير المنير (3 / 185)

(26) المرجع نفسه (5 / 97)

ثم بين الزحيلي ما نقله القرآن عنهم مِنْ لي ألسنتهم في الحديث: «يستعملون كلاماً محتملاً معنيين، وهم يريدون به الشتيمة والإهانة، لا التوقير والاحترام والتكريم، لئلاً بألسنتهم وقتلاً بها ، وصرفاً للكلام عن إرادة الخير إلى إرادة الشرّ والسب، وطعناً في الإسلام وقدحاً فيه، فيؤهمون أنهم يقولون: راعنا سمعك بقولهم: راعنا ، وإنما يريدون الرعونة بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا منتهى الوقاحة والجرأة على الباطل. ومن تحريف لسانهم تحيئهم بقولهم: «السام - الموت - عليكم» يوهمون بفنل اللسان أنهم يقولون: «السلام عليكم» فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «وعليكم» أي : كلُّ أحد يموت»⁽²⁷⁾ .

عاشراً: جنبهم وحرصهم على الحياة:

فهم جنباء يخافون الموت ، ويحرصون على حياتهم ، ولو كانت حياة ذليلةً ، لأن الله كتب عليهم الذلة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٩٤ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٩٥ وَلَتَجِدَنَّهِنَّ أحرصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ٩٦﴾ [البقرة: 94-96] . يقول الزحيلي : «هذه الآيات امتحان لمعرفة صدق إيمان اليهود، ودحض دعاويهم الباطلة التي حكاها الله عز وجل في كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: 80] وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 111]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18] وموضوع الامتحان تمنى الموت ليحظوا بالسعادة الأبدية، وبذل أرواحهم في سبيل الله، والذود عن الدين وحرماته. ونتيجة الامتحان الإخفاق المحتم، لأن اليهود قومٌ مادّيون يحبُّون البقاء في الدنيا، ويكرهون لقاء الله، فلا ثقة لهم بأنفسهم فيما يزعمون، ويظنون في قلق وحيرة واضطراب دائم ، وشك يخيفهم ويزعج أعماق نفوسهم»⁽²⁸⁾ .

(27) التفسير المنير (98 /5)

(28) المرجع نفسه (231 /1)

وأخبر الله سبحانه عن جبنهم وشدة خوفهم من المسلمين ، فقال سبحانه: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۚ ۱۳ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۙ ١٤﴾ [الحشر: 13-14]، يقول الزحيلي : «أي إنكم أيها المسلمون أشدُّ خوفاً وخشية في صدور المنافقين أو في صدور اليهود من ربه الله، فهم يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، وذلك الخوف بسبب أنهم قوم لا يعلمون قدر عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته، ولو كان لهم فقه لعلموا أن الله سبحانه أحقُّ بالرهبة منه دونكم ... أي إن اليهود والمنافقين من جبنهم وهلعهم لا يواجهون جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة، ولا يقاتلونهم مجتمعين، بل يقاتلونهم إما وراء الحصون والدروب والخنادق، أو من خلف الأسوار والحيطان التي يستترون بها، لجبنهم ورهبتهم، فيقاتلون للدفاع عنهم ضرورة، وقد لمس العرب هذا الأسلوب في حروب اليهود في فلسطين في عصرنا»⁽²⁹⁾ .

الحادي عشر: الإفساد ونشر الفتن :

فهم يفتاتون على إثارة الفتن والتحريض بين الناس وإشعال الحروب، بل هم تجارؤها وروادها، ولكن الله يكسرهم ، ولا يتم لهم ما يريدون حتى لا يزداد طغيانهم في الأرض ، كما قال سبحانه: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۙ ٦٤﴾ [المائدة: 64]، يقول الزحيلي : «كلما هموا بالكيد للرسول والمؤمنين الصادقين وإثارة الفتن والحروب بين الأمم في الداخل والخارج، خذلهم الله، ورد كيدهم عليهم، فإما أن يخيب مسعاهم، أو ينصر المؤمنين عليهم. وهم في مساعيهم يسعون في الأرض فساداً، أي من سجيبتهم أنهم دائماً يفسدون في الأرض ولا يصلحون، والله لا يحبُّ من كانت هذه صفته، بل يبغضه ويعاقبه ويسخط عليه»⁽³⁰⁾

الثاني عشر: شدة العداوة والكره للمؤمنين :

والعداوة للمؤمنين أشدُّ ظهوراً عند اليهود من غيرهم من الكفار ، وهو ما أخبرنا به سبحانه وتعالى بقوله : ﴿لَنْجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ﴾ [المائدة: 82]، يقول

(29) التفسير المنير (97/28-98).

(30) المرجع نفسه (6/253).

الزحيلي : «أقسم الله تعالى بذاته على أن أشد الناس المعاصرين للتنزيل عداوة للمؤمنين هم اليهود لأن كفرهم كفر عناد وجحود وهضم للحق، بل إن عداوتهم أشد من عداوة المشركين لتقديمهم في الذكر، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء، حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة، وسمّوه وسحروه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين» (31).

المبحث الثاني

السمات الإيجابية في أهل الكتاب

من خلال المرور على الآيات التي تناولت أهل الكتاب نجد أن الله أثنى على بعض اليهود والنصارى ، وإن كان النصارى هم الأوفر حظاً من تلك الأخلاق الحسنة، وهذا يعني أنّ هناك آمالاً معقودةً لإنقاذهم من النار، ومن ثم فإن أهل الكتاب - يهوداً كانوا أو نصارى - هم محلّ للدعوة إلى الله تعالى ، ولذلك فإنه ما ينبغي للداعية أن يألوا جهداً في الإقبال إليهم ودعوتهم إلى سبيل الهداية ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، يقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ ١١٣ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ١١٤ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ ١١٥﴾ [آل عمران: 113-115]، يقول الزحيلي : «يأبى عدل الله إلا أن يظهر الأخيار، ويبعد الأشرار، لذا أكد سبحانه وتعالى في هذه الآيات التنويه بإيمان المؤمنين من أهل الكتاب، فإنهم آمنوا بالإسلام، وصدقوا بالقرآن، ورجبوا في دين الله ورسخوا فيه. وقاموا بالأعمال الصالحة، فأصلحوا أنفسهم، وجاهدوا في إصلاح غيرهم، وقاوموا دعوة الفساد والانحراف، فاستحقوا الاتصاف بالصالحين، والوصف بالصلاح هو غاية المدح والثناء» (32).

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝ ٦٦﴾ [المائدة: 66]، يقول الزحيلي : «أي جماعة معتدلة في أمر الدين كعبد الله بن سلام وأصحابه من

(31) المرجع نفسه (8/7).

(32) التفسير المنير (49/4).

اليهود، والنجاشي وأمثاله من النصارى، وكثير غالب منهم فاسقون خارجون عن أصول الدين، ويئس العمل عملهم. وهناك نظائر لهذه الآية التي تشهد لبعض أهل الكتاب بالاعتدال مثل قوله تعالى عن بعض اليهود: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ١٥٩﴾ [الأعراف: 159]، وقوله تعالى عن أتباع عيسى: ﴿فَاتَّبَعْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ٢٧﴾ [الحديد: 27]»⁽³³⁾.

وقد أورد الدكتور الزحيلي : بعض صفاتهم عند قول الله Y: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩٩﴾ [آل عمران: 199]، يقول الزحيلي : «أخبر الله تعالى عن طائفة من أهل الكتاب اهدتوا بالقرآن، كما اهدتوا بما عندهم من هدي الأنبياء، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي، وقد وصفهم الله بصفات حميدة ، هي:

- 1) الإيمان بالله إيماناً صادقاً تاماً.
 - 2) الإيمان تفصيلاً بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الكتاب الإلهي الوحيد الباقي السالم من التحريف.
 - 3) الإيمان إجمالاً بما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل.
 - 4) الخشوع لله وهو ثمرة الإيمان الصحيح، ومتى خشع القلب لله خشعت النفس كلها.
 - 5) عدم اشتراء شيء من متاع الدنيا بآيات الله، أي يحافظون على الوحي كما هو دون كتم شيء منه من البشارة بمحمد ع وصفته وبعثته وصفة أمته دون تحريف ولا تبديل.
- هذه الصفات وجدت في بعض اليهود وهم قلة مثل عبد الله بن سلام ، وأمثاله من أحرار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق، كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٨٢﴾

(33) المرجع نفسه (254 /6)

[المائدة: 82] إلى قوله تعالى: ﴿فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ٨٥﴾ [المائدة: 85]»⁽³⁴⁾.

أخلاق النصارى التي أثنى عليها القرآن الكريم :

وأما النصارى على وجه الخصوص ، فقد ذكر الله I في كتابه الكريم أنهم أقرب للمؤمنين من اليهود والمشركين، ودخولهم في الإسلام أيسر وأسرع ؛ وذلك لاتصافهم ببعض الأخلاق التي كانت سبباً في قبولهم للحق والتأثر به، ومن تلك السمات ما يلي:

أولاً: المودة :

فهم أقرب الناس مودة للمؤمنين كما قال سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٨٢﴾ [المائدة: 82]. يقول الزحيلي : «إن أقرب الناس محبة ومودة للمؤمنين: الذين قالوا: إنا نصارى أي قالوا: إنهم أتباع المسيح والإنجيل، فكان فيهم في الجملة مودة للإسلام وأهله، لما في قلوبهم على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: 27]، وفي الإنجيل: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر» . وقد رأى النبي E من النصارى خيراً، فتلقى نصارى الحبشة المؤمنين المهاجرين إليها بالحماية والتكريم، هرباً من أذى المشركين، وردَّ هرقل ملك الروم النصارى كتاب النبي E رداً حسناً، بعد أن حاول إقناع رعيته بقبول الإسلام، وكان المقوقس عظيم القبط في مصر أحسن منه رداً، فأرسل إلى النبي E هدية، وبعد فتح مصر والشام أسلم كثير من النصارى في تلك البلاد، لما رأوا في الإسلام من مزايا، وأسلم أصحاب النجاشي ملك الحبشة مع بطانته، ولما مات صلى عليه النبي E صلاة الجنازة على الغائب ونعاه للناس.

وكان سبب مودة النصارى للمؤمنين: أنه يوجد فيهم قسيسون (علماء) ورهبان (عباد) يدعون للإيمان والفضيلة والتواضع، والزهد والتقشف، ولا يستكبرون عن سماع الحق والإنصاف

(34) التفسير المنير (4/ 216)

وينقادون له، فوصفهم الله بالعلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه،
والإنصاف»⁽³⁵⁾ .

والحقيقة أنّ صفة المودة السائدة عند النصارى تُيسر على الداعية سبيل دعوتهم ،
وتجعلهم أسرع إلى قبول ما يدعوهم إليه من سبيل الهدى .
ثانياً: الرأفة والرحمة :

وهذه الصفة هي من ثمرات ما كانت تحثهم عليه كتبهم المقدسة من الصفح والتسامح المبالغ
فيهما مع المخالفين⁽³⁶⁾ ، قال الله Y في كتابه: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا
ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾
[الحديد: 27].

يقول الزحيلي : «أي : وجعلنا في قلوب أتباعه وهم الحواريون وأنصارهم رقة في الطبع
ورحمة بالخلق، خلافا لليهود القساة، وابتدعوا الرهبانية من جهة أنفسهم، ولم يشرعها الله لهم، ولم
يأمرهم بها، بل ساروا عليها غلوّاً في العبادة، وحملوا أنفسهم المشقات في الامتناع عن المطعم
والمشرب والزواج، وانعزلوا عن الناس وانقطعوا إلى العبادة في الكهوف والصوامع، ولبسوا
الملابس الخشنة، تقرباً إلى الله تعالى»⁽³⁷⁾ .

فالداعية إلى الله سيجد في هذه الصفة أيضاً منفذاً إلى قلوب هؤلاء بحيث لا يخشى فيهم
القسوة والإعراض، وإنما سيجد الاستئناس والارتياح ، وتكرار الدعوة ، عند عدم استجابتهم له ،
بخلاف لو كان المدعو قاسي القلب ، فإن الداعية قد يتعرض للأذى ، ومن ثم فإنه يعثر عليه
تكرار دعوته مرة أخرى .

(35) التفسير المنير (8 /7)

(36) جاء في إنجيل متى: « أجتبوا أعداءكم. باركوا لاعينكم. أحسنوا إلى مبغضينكم، وصلّوا لأجل الذين يبغضون إبتكم ويضطرونكم» إنجيل متى (5: 44)

(37) التفسير المنير (338 /27)

ثالثاً: الانقياد للحق وعدم الاستكبار :

وهذا بخلاف اليهود الذين يرون أنهم المصطفون الأخيار على بقية البشر ، فقال سبحانه في وصف النصارى : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82]، وهي من الصفات الجميلة التي تحقّق الداعية لاستهدافهم أكثر من اليهود بسبب سرعة الاستجابة وعدم الاستكبار، يقول الزحيلي : « لا يستكبرون عن سماع الحق والإنصاف وينقادون له، فوصفهم الله بالعلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه، والإنصاف»⁽³⁸⁾.

هذه بعض الصفات التي يجب على الداعية أن يستفيد منها في دعوته لأهل الكتاب عموماً وللنصارى خصوصاً، فلا يثبّطه الشيطان أو يؤهن من عزمه؛ لأن منهم مَنْ يبحث عن الحق ، ولكنه يخطئ الطريق إليه لجهله أو بسبب نشأته، فهو ينتظر مَنْ يأخذ بيده إلى الحق حتى ولو كان من القساوسة أو الرهبان.

المبحث الثالث

معالم دعوة المدعو من أهل الكتاب

وفي ضوء ما سبق من معالم إعراض أهل الكتاب بصنفيهم اليهود والنصارى ، وما ورد في هذه المعالم من سلبياتهم ، وأذاهم الله وكتبه ورسله والدعاة إلى سبيله ، وكذلك في ضوء ما مرّ أيضاً من صفات حميدة ذكرها الله عز وجل في حق طائفة من أهل الكتاب ، تقدّم فيها النصارى على اليهود ببعض تلك الصفات الحميدة ؛ فإنه يتجلى - مما ذكر - للداعي إلى الله معالم وأساليب تتناسب مع هذه الفئة من المدعوين الذين يتوجه إليهم بدعوتهم إلى الله تعالى . والكلام عن هذه المعالم يكون من خلال بيان ما يلي :

أولاً: الدعوة إلى توحيد الله تعالى ونبذ الشرك

(38) لتفسير المنير (9/7).

فاليهود والنصارى وقعوا في الشرك ونسبوا الولد لله تعالى كما فعل المشركون، ولا شك أن أول أمر يبدأ فيه الداعية مع هؤلاء هو الدعوة إلى التوحيد، كما جاء في حديث معاذ بن جبل τ أن رسول الله ε لما بعثه على اليمن قال له: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقرؤا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)⁽³⁹⁾.

يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: 64]، يقول الزحيلي: «قل يا محمد: يا أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى جميعاً، أقبلوا وهلموا إلى كلمة عادلة وسطى سواء بين الفريقين اتفقت عليها جميع الشرائع والرسل والكتب التي أنزلت إليهم، فأمرت بها الصحف والكتب الأربعة: التوراة والزبور والإنجيل والقرآن، وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله وعبادة الله وتفويض سلطة التشريع والتحليل والتحريم إليه، وعدم الشرك به شيئاً، وعدم اتخاذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، كالوثن والصليب والصنم والطاغوت والنار. هذه الآية حوت وحدانية الألوهية في قوله: ألا نعبد إلا الله، وحدانية الربوبية في قوله: ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله»⁽⁴⁰⁾.

وهذه هي دعوة جميع الرسل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: 25]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

ثانياً: بيان أن محمداً ε هو امتداد لمن قبله من الرسل :

فرسولنا الكريم جاء بمثل ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أصول الدين ، وإن اختلفت شريعته ρ عن شرائع من قبله ببعض التفاصيل ؛ فالإسلام هو دين الرسل جميعاً،

(39) صحيح البخاري. كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ε أمته إلى توحيد الله، (2685/6) ح (6937).

(40) التفسير المنير (3/ 252).

يقول الله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]. يقول الزحيلي: «والقدر المشترك من الدين الذي أوصى به جميع الرسل: هو التوحيد، ومكارم الأخلاق، والبعد عن الفواحش والمنكرات»⁽⁴¹⁾. وقال في موضع آخر: «شرعنا لكم في هذه الشريعة ما انتفعت عليه الشرائع والأديان كلها في أصول العقيدة من الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر والملائكة، وأصول العبادة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله، قال مجاهد: «لم يبعث الله نبيا قط إلا وصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم». وكذا أصول الأخلاق وأسس الفضائل كالصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم، وتحريم الزنى والسرقه والاعتداء على الأموال والنفوس. ووصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف. وأساس الدين الذي جاءت به الرسل كلهم: هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عز وجل: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء 21 / 25]»⁽⁴²⁾.

وهذا المسلك - أي بيان أن محمداً ع هو امتداد لمن قبله من الرسل - هو من الحجج المؤثرة التي تفيد الداعية، إذ إن الأنبياء من قبل محمد ع كانوا يدعون أقوامهم بمثل ما يدعوهم إليه، فلماذا ترفضون دعوته؟! وقد برز ذلك في عدة أمور:

1- أن رسولنا الكريم مبشّر به عند أهل الكتاب: وهذا يعطي الحجة الدامغة على وجوب اتباعه، فأنبيأؤهم يخبرونهم أنه سيأتي نبي بعدهم يجب اتباعه ؛ لأنه مرسلٌ من عند الله كما أنهم مرسلون من عنده سبحانه ، ومن ثم فلا فرق بينه ρ وبينهم عليهم السلام ، وهذا مما جعل أهل الكتاب من الأحرار والرهبان وكبرائهم يخفون ذكره ، وصفاته عن أتباعهم مع ما استيقنوه في أنفسهم من أنه الحق من ربهم ، ويتضح ذلك في عدة أمور منها:

(41) المرجع نفسه (109 / 8)

(42) المرجع نفسه (39 / 25)

- أن صفاته عليه الصلاة والسلام مكتوبة في التوراة والإنجيل: كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: 157]. يقول الزحيلي: «صفاته موجودة في التوراة والإنجيل: وهذا يدل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والإنجيل لأن ذلك لو لم يكن مكتوبا، لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفريات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفريات، ويرتفع عنه العاقل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته»⁽⁴³⁾. وفي موضع آخر يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٩٧﴾ [الشعراء: 197]. يقول الزحيلي: «أي وليس يفتهم شاهد على صدقه أن علماء بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها من التوراة والإنجيل، وبيان صفة النبي ع ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك من آمن منهم، كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، وكان مشركو قريش يذهبون إليهم ويسألونهم عن ذلك ويتعرفون منهم هذا الخبر. ذكر الثعلبي عن ابن عباس: (أن أهل مكة بعثوا إلى أحبار يثرب يسألونهم عن النبي ع ، فقالوا: هذا أوانه، وذكروا نعته)⁽⁴⁴⁾ ، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: 157]. وهذا يدل دلالة

(43) التفسير المنير (9/ 125)

(44) البحر المحيط (7/ 41) مرجع سابق.

واضحة على نبوته ع لأن تطابق الكتب الإلهية على إيراد نعته ووصفه يدل قطعاً على
(45)
نبوته» .

معرفةهم المؤكدة للرسول ع : يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: 146] . يقول الزحيلي : «ومما يوضح عناد أهل الكتاب واستكبارهم عن قبول الإسلام أو الحق: أنهم ولا سيما علماءهم يعرفون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته، كما يعرفون أبناءهم ؛ وخص الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس، لأن الإنسان قد ينسى نفسه، ولا ينسى ابنه. روي أن عمر قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه، إلى أمينه في أرضه، فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه. وأهل الكتاب يكتمون الحق يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، ويعلمون نبوته، وهذا ظاهر في صحة الكفر عناداً، مثل قوله تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [النمل 14 / 27]» (46) .

انتظار اليهود لبعثة النبي ع: فقد كانوا يتفخرون على العرب أن الأنبياء منهم تركية لسلالتهم، فكانوا يتربصون خروجه من بينهم كما قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة: 89] . يقول الزحيلي : «كان عندهم وصف النبي ع وبيان زمانه، وكانوا يستتصرون به على المشركين ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة، فلما جاءهم كتاب من عند الله وهو القرآن الذي أنزل على محمد ع، مصدق لما معهم من التوراة، ومؤكّد وصف النبي المعروف عندهم، كفروا به حسداً للعرب، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، واستكبروا عن قبول دعوته وإجابته احتقاراً للرسول، وهم يعلمون

(45) التفسير المنير (19 / 223)

(46) المرجع نفسه (27 / 2)

أنه رسول الله، وآثروا الدنيا على الآخرة، فلعنة الله على كل كافر من اليهود وغيرهم، لأنه كفر بدعوة الإسلام»⁽⁴⁷⁾.

بشارة عيسى U بالنبي محمد E وذكره بالاسم: وهذا من أبين الكلام وأوضحه في إقامة الحجة على أهل الكتاب ووجوب اتباعه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]. يقول الزحيلي: «أي إن التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد: وهو الذي يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر مما يحمد غيره، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، كما أن عيسى خاتم أنبياء بني إسرائيل، أورد البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله E يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي - أي بعدي-)، وأنا العاقب)⁽⁴⁸⁾ أي الآخر الآتي بعد الأنبياء، وروى مسلم وأبو داود الطيالسي عن أبي موسى، قال: سمى لنا رسول الله E نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: (أنا محمد، وأنا أحمد، والحاشر، والمقفي، ونبي الرحمة والتوبة والملحمة)⁽⁴⁹⁾، وعن كعب الأحبار: أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله، هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة محمد، حكماء علماء أبرار أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل»⁽⁵⁰⁾، وقال في موضع آخر: «نزل الإنجيل على عيسى U، متمماً للتوراة التي نزلت على موسى U، فلم يأتهم عيسى بشيء يخالف التوراة، فينفروا عنه، وقد

(47) التفسير المنير (1/ 222).

(48) رواه البخاري. كتاب التفسير، باب قوله تعالى {من بعدي اسمه أحمد}، (1858/4) ح (4614)، ورواه مسلم. كتاب الفضائل، باب في أسمائه E، (1828/4) ح (2354)، ورواه الترمذي: كتاب الأدب عن رسول الله E، باب ما جاء في أسماء النبي E، (135/5) ح (2840)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(49) رواه أحمد. حديث حذيفة بن اليمان عن النبي E، (405/5) ح (23490) علق. شعيب الأرنؤوط بقول: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن من أجل عاصم بن بهدلة. ورواه مسلم: كتاب الفضائل، باب

في أسمائه E، (1828/4) ح (2355)، ورواه الطيالسي: أحاديث أبي موسى الأشعري، (396/1) ح (494).

(50) التفسير المنير (28/ 168).

بشرت التوراة بعيسى، وبشر عيسى بالنبي محمد ع، وهذا أمر منطقي، لأن رسالات الأنبياء صلوات الله عليهم كلهم يكمل بعضها بعضاً، فهي من مصدر واحد، وذات غاية واحدة تتحصر في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته والإيمان بالرسول والملائكة والكتب الإلهية واليوم الآخر»⁽⁵¹⁾.

2- دين الأنبياء هو الإسلام: وتقرير ذلك يعطي دلالة على صدق نبوة محمد ع ، وأن رسالته ليست بدعاً من الرسالات السابقة ، وأنه لم يأت بدين جديد، وأنهم تحت مظلة الإسلام الذي يمثل التوحيد الخالص والاستسلام لله، بل إن الذي يؤمن بنبي من أنبياء الله تعالى قبل محمد ع يلزمه الإيمان به أيضاً ، وهذا مقتضى الإسلام الذي لا يفرق بين أحد من الرسل ، وإن اختلفت شرائعهم فالأصل واحد، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ر قال: قال رسول الله ع : (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)⁽⁵²⁾ ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩ فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ٢٠﴾ [آل عمران: 19-20]. يقول الزحيلي : «ذكر نوع الدين الذي ارتضاه لعباده من بدء الخليقة إلى يوم القيامة: وهو دين الإسلام لا غيره، فهذا إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد، سوى الإسلام: وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ع، أي اتباع الملل والشرائع التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، فهم إن اختلفوا في الفروع، لم يختلفوا في الأصول وجوهر الدين: وهو التوحيد والسلام، والعدل في كل شيء. فمن لقي الله بعد بعثه محمد صلى الله

(51) المرجع نفسه (171 / 28).

(52) رواه البخاري. كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، (1270/3) ح (3259).

عليه وسلم بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: 85]»⁽⁵³⁾.

وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٨٤ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: 84-85]، ورد في هذه الآية الكريمة إثبات ونفي؛ حيث جاء فيها إثبات الإيمان بما أنزل على الأنبياء جميعاً وهو الإسلام دين الفطرة دون التفريق بينهم، وجاء فيها أيضاً نفي ما عدا الإسلام مما يخالف الفطرة التوحيدية وعدم قبوله؛ كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء)⁽⁵⁴⁾، فلم يذكر الإسلام في الحديث لأنه هو دين الفطرة.

يقول الزحيلي رحمه الله تعالى في تأكيد ما تقدم: «جاء الأمر بالإسلام لأن الإيمان بوجود الله وهو التصديق به هو الأصل، وعنه يصدر العمل الصالح، وأما الإسلام فهو توحيد الله وإخلاص العبادة له والانقياد لشرعه ومنهجه، وهو يأتي تبعاً لأصل الاعتقاد. ومن يطلب غير الإسلام (وهو التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى) ديناً، فلن يقبل منه قطعاً، وهو من الذين وقعوا في الخسران مطلقاً لأنه سلك طريقاً سوى ما شرعه الله، وأضاع ما جبلت عليه الفطرة السليمة من توحيد الله والانقياد لأوامره»⁽⁵⁵⁾.

وفي موضع آخر من كتاب الله تعالى يرد سبحانه على اليهود والنصارى الذين ادعوا أن إبراهيم ﷺ كان يهودياً أو نصرانياً فقال عز وجل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عمران: 67]، وقد بين الزحيلي هذه الآية

(53) التفسير المنير (3/ 179)

(54) رواه البخاري. كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (465/1) ح (1319)

(55) التفسير المنير (3/ 285)

بقوله : «جاء القرار الإلهي الحاسم في شأن إبراهيم، وهو أنه ما كان يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مائلا عن الشرك بالله والوثنية، مسلما منقادا لله مطيعا لأوامره، مجتنباً نواهيه، فأهل دينه الذين هم على منهاجه وشريعته هم أهل الإسلام، فهم الصادقون، وأما اليهود والنصارى فهم الكاذبون، وما كان أيضا من المشركين الذين يسمون أنفسهم الحنفاء، ويدعون أنهم على ملة إبراهيم، وهم قريش ومن تبعهم من العرب»⁽⁵⁶⁾ .

ثالثاً: إبطال عقيدة التثليث لدى النصارى :

فالداعية إلى الله تعالى يجتهد في إزالة الباطل بإزالة قواعده التي بُني عليها، والتثليث هو أساس فساد عقيدة النصارى، وقد أوضح الدكتور الزحيلي مفهوم التثليث لدى النصارى ، فقال: «والنصارى مجمعون على التثليث ، ويقولون: إن الله جوهرٌ واحد، وله ثلاثة أقانيم، فيجعلون كل أقنوم إلهاً، ويعنون بالأقانيم: الوجود والحياة والعلم. والسائد أنهم يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، فيعنون بالأب: الوجود، وبالروح: الحياة، وبالابن: المسيح. ومحصول كلامهم كما تقدم يؤول إلى القول بأن عيسى إله، بسبب ما كان يظهر على يديه من المعجزات وخوارق العادات، وذلك خارج عن مقدور البشر، فيكون المقتدر عليها متصفاً بالألوهية»⁽⁵⁷⁾ .

وقد عالج القرآن الكريم مسألة التثليث عند النصارى ، من خلال عدة أمور:

1-نفي الولد بإثبات وحدانية الله وملكوته لكل شيء: فهو المتفرد سبحانه بالخلق، وكل ما في

الكون تحت ملكه وقدرته ومشيتته، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ۗ ۝١١٦ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۗ ۝١١٧﴾ [البقرة: 116-117] . يقول الزحيلي مبيناً معنى هذه الآية : «ليس لله حاجة إلى المعونة ، وله كل ما في السموات والأرض، الكل خاضع لسلطانه، منقاد لإرادته. وهو الذي أبدع وابتكر السموات والأرض لا على مثال سبق، ومالك ما فيهن، وإذا أراد أمراً أوجده فوراً ، أسرع مما بين حرفي «كن» من غير امتناع. والإيجاد والتكوين من أسرار الألوهية، عبر عنهما بما يقربهما للفهم بقوله: كن فيكون. وإذا اختار الله بعض خلقه للنبوّة أو الرسالة كالرسل والملائكة، فلا يتجاوز حد مرتبة المخلوق، ويظل الكل عبداً لله: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ ۝٩٣﴾ [مريم: 93]، فمن كان له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً، ومن كان له كل ما في الكون منقاد لأمره، ومن أبدع السماء والأرض، ومن له أمر التكوين والإيجاد الفوري، أحتاج إلى الولد والوالد؟!»⁽⁵⁸⁾ .

(57) المرجع نفسه (6/ 49)

(58) التفسير المنير (1/ 287)

2- إثبات البشرية الكاملة لعيسى ﷺ : فالنصارى يزعمون أنه ابن الله كما نص القرآن على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]، ومنهم من يقول أنه إله ومنه من يقول أنه نصف إله، وقد صرح بأنه عبد الله وهو في المهد صبياً كما قال سبحانه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۚ ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۚ﴾ [مريم: 29-30]. يقول الزحيلي : «إن جميع الأنبياء والرسل صرحوا لأقوامهم أنهم بشر عبيد الله تعالى، فلا يصح رفع أحد عن المنزلة البشرية كسائر الناس، وعلى هذا فإن عيسى عليه السلام ذو طبيعة بشرية، وليست إلهية كما يزعم النصارى، وما هو إلا عبد كسائر عبيد الله أنعم الله عليه بالنبوة، وجعل خلقه من غير أب آية، وعبرة لبني إسرائيل والنصارى، يستدل بها على قدرة الله تعالى، وكان يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام كلها بإذن الله، ولم يجعل هذا لغيره في زمانه»⁽⁵⁹⁾ ، وبشرية عيسى عليه السلام تظهر في عدة أمور منها:

-الاحتياجات البشرية: يقول الله Y: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۗ﴾ [المائدة: 75]، يقول الزحيلي : «وكل من المسيح وأمه من جنس البشر ونوعهم، بدليل أنهما يأكلان الطعام للحفاظ على معيشتهم وحياتهما، ويقضيان حاجتهما من البول والغائط، ومن صدر منه مثل ذلك، واتصف بالتركيب والضعف والحاجة إلى الطعام والشراب والنوم وقضاء الحاجة، لا يمكن أن يكون إلهاً، ولا أن يتصف بأي صفة من صفات الألوهية والربوبية»⁽⁶⁰⁾ .

-مادة الخلق: فعيسى ﷺ خلقه الله من تراب كما خلق الأنبياء من قبله، بل إن الله ذكر النصارى بخلق آدم ﷺ الذي كان خلقه أعظم من خلق عيسى ﷺ ؛ حيث خُلق آدم من غير أب وأم، أما عيسى فخلقته من غير أب، قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۗ ٥٩﴾ [آل عمران: 59]. يقول الزحيلي : «إن صفة عيسى في قدرة

(59) التفسير المنير (178 /25)

(60) المرجع نفسه (273 /6)

الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب، وقدره جسدا من طين، ثم قال له: كن فيكون أي: أنشأه بشرا بنفخ الروح فيه. شبه الغريب بالأغرب منه، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب، والشيء قد يشبه بالشيء لاتفاقهما في وصف واحد، وإن اختلفا في أمور أخرى. فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى، وإن جاز ادعاء البنوّة في عيسى، لكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ادعائها في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعوى البنوّة في عيسى أشد بطلاناً»⁽⁶¹⁾.

-إبطال عقيدة القتل والصلب والفداء: فالنصارى يعتقدون أن اليهود قاموا بقتل عيسى و وصلبه، ورأوا أن هذا كان من باب الفداء، وتحمل خطيئة آدم وذريته من بعده، يقول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧﴾ [النساء: 157]. يقول الزحيلي: «والحال أنهم ما قتلوه وما صلبوه كما ادعوا، ولكن ألقى الله الشبه على رجل آخر فصلبوه، وما قتلوه يقينا أي متيقنين أنه عيسى ذاته بعينه لأن الجند الذين قتلوه وصلبوه ما كانوا يعرفونه، والمعروف في الأنجيل أن الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا الأسخريوطي⁽⁶²⁾، وإن (الذين) اختلفوا في صلب المسيح، أهو المصلوب أم غيره؟ لفي شك وتردد من حقيقة أمره، وليس لهم علم يقيني مقطوع به، وإنما هم يتبعون الظن والقرائن والأمارات غير المؤدية إلى الحق، وإنما أنجاه الله من أيدي اليهود ورفعاه إليه»⁽⁶³⁾.

ثم أخبر الله تعالى بصريح بيانه أنه رفع عيسى و إليه، فقال سبحانه: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء: 158]، وقال في موضع آخر: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى

(61) التفسير المنير (3/ 246-247).

(62) يهوذا: اسم عبري، معناه: حمد، ولقب بالأسخريوطي تمييزا له عن يهوذا آخر، وكان أحد الحواريين الاثني عشر، وأميناً للصندوق، وبرغم ذلك فقد خان يهوذا المسيح وشى بمكانه لليهود مقابل ثلاثين مثقالا من الفضة، ثم قيل: بأنه خنق نفسه شنقا ندما على خيائه. وقد ورد أن الله عاقبه على خيائه فألقى شبه المسيح على يهوذا فقبض الحراس عليه، ثم قتلوه صلبا بدلا من المسيح الحقيقي الذي نجاه الله عزوجل ورفعاه إليه. ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي، صالح بن الحسين الجعفري (ت ٦٦٨هـ)، تحقيق:

محمود عبد الرحمن قحح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1419هـ، (1/ 157) هامش رقم (3).

(63) التفسير المنير (6/ 20).

إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿ [آل عمران: 55] . يقول الزحيلي : «الثابت المؤكد بإخبار الله الصادق القاطع أنهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه، بل حماه الله منهم، وخلصه من مكرمهم وكيدهم، ورفع الله إليه إما رفعا حقيقيا بالروح والجسد إلى السماء، كما قال الأكثرون لأن الله متعال عن المكان، وإما رفع منزلة وتفخيم وتعظيم كما قال الرازي»⁽⁶⁴⁾.

وقال في موضع آخر: «والصحيح لدى المحققين من العلماء أن الله رفع عيسى عليه السلام إلى السماء من غير وفاة ولا نوم، وسينزل في آخر الزمان. جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : (والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص)⁽⁶⁵⁾ فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد)⁽⁶⁶⁾»⁽⁶⁷⁾.

رابعاً: دعوة أهل الكتاب إلى اتباع القرآن المنزل على محمد ﷺ :

لأنه آخر الكتب والمهيمن عليها والمعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تكفل الله بحفظه ، وأوكل بقية الكتب السابقة إلى الناس، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نُنزِّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47] . يقول الزحيلي : «يأمر الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالإيمان بما نزل على رسوله ﷺ من القرآن المجيد الذي جاء مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية في أصولها الأولى الصحيحة - وليس لما آلت إليه في صورتها الحالية - من تقرير التوحيد ورفض الشرك وترك الفواحش الظاهرة والباطنة، وتصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات بالنبي محمد، وتلك هي أصول الدين وغاياته الأساسية. خاطبهم القرآن بأنهم أوتوا

(64) التفسير المنير (24/6)

(65) القلاص: جمع قلوص وهي الناقة الصابرة على السير من النوق ، وقيل : القلوص الطويلة القوائم . و(القلوص) من الإبل الفتية المجتمعة الخلق ، وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها ثم هي ناقة. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص45) ، والمعجم الوسيط (2/755).

(66) رواه مسلم. كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، (136/1) ح (155).

(67) التفسير المنير (243/3)

الكتاب، مع أنهم ضيعوا جزءاً منه، وأحرقوا جزءاً آخر، مما يدعو إلى إيمانهم بالقرآن، ويسجل عليهم تقصيرهم واستحقاقهم العقاب»⁽⁶⁸⁾ .

ويقول Y في بيانه أن القرآن الكريم محفوظ من التحريف ، بخلاف كتب أهل الكتاب التي أوكل حفظها لأحبارهم ورهبانهم : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩﴾ [الحجر: 9]، يقول الزحيلي في بيان معنى هذه الآية : «أي أنه تعالى هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل، فقولوا: إنه مجنون، ونقول: نحن منزلو القرآن وحافظوه. وتلك خصوصية للقرآن، فإنه تعالى تكفل وحده بحفظه وصونه، على مدى الدهر، بخلاف الكتب السابقة التي أمر بحفظها الأحبار والرهبان، فعبثوا بها وغيروها وبدلوها، بل إن أصلها قد فقد وضاع، فلم يعرف لها أثر ؛ قال تعالى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار، بما استحفظوا من كتاب الله، وكانوا عليه شهداء [المائدة 44/5]»⁽⁶⁹⁾ .

خامساً: المجادلة بالتي هي أحسن :

وهذا مطلب قرآني ذكره الله سبحانه ، فقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٤٦﴾ [العنكبوت: 46]، لأن الهدف من مجادلتهم هي دعوتهم لقبول الحق ، وتفكيك أغلال الشبه التي تحول بينهم وبين الحق ، وهي إما أن تكون شبيهاً متعلقة بتشويه الإسلام ، ومن ثم فإن الداعية يعرض لهم الدين صافياً كما أنزل، وإما أن تكون شبيهاً متعلقة بدينهم المحرّف ، وبالتالي يجتهد الداعية في بيان التحريف والتبديل الذي داخل دينهم ؛ والداعية في جميع مراحل دعوته لهم يظهر الخوف عليهم ، وخطورة ما هم عليه من الضلال صدقاً ومحبةً ، لا لأجل الانتصار والمغالبة والإسقاط . يقول الزحيلي: «أي ولا تحاججوا، ولا تناقشوا اليهود والنصارى إلا بالطريقة الحسنة وبالأسلوب الهادئ اللطيف، إلا الذين ظلموا أنفسهم، وحادوا عن سبيل الحق، وعموا عن واضح

(68) التفسير المنير (102 /5)

(69) المرجع نفسه (16 /14)

الحجة، وعاندوا وكابروا، ولم ينفع معهم أسلوب المنطق والإقناع العقلي، فهؤلاء يعاملون بالمثل، ويرد على عدوانهم ومكابرتهم بطريقتهم نفسها، فيقاتلون ويردعون بالحرب، وهؤلاء - كما قال مجاهد وسعيد بن جبير - هم الذين نصبوا للمؤمنين الحرب، فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية»⁽⁷⁰⁾، ويتضح من كلام الزحيلي أن التعامل مع أهل الكتاب على نوعين:

أولاً: من كان هدفه الوصول إلى الحق؛ «فيجادل بالتي هي أحسن، ويدعى إلى الله عز وجل وحده لا شريك له، وينبهه على حججه وآياته، رجاء إجابته إلى الإيمان، بغير إغلاظ ولا مخاشنة، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]»⁽⁷¹⁾.

ثانياً: من كان معانداً ومحارباً؛ «فيقاتل بما يمنعه ويردعه، قال الله عز وجل: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز [الحديد: 25 / 57]»⁽⁷²⁾. وقد ذكر الزحيلي أن المنهج المتبع في مجادلة أهل الكتاب إنما يكون بحسب قريبتهم وبعدهم عن الحق، فقال: «بعض أهل الكتاب معتدلون في آرائهم ومعتقداتهم، بعيدون عن الشرك وإثبات الولد والتثليث، وهؤلاء ينفع معهم الجدل والنقاش، فهم يؤمنون بالله وبكتابهم وباليوم الآخر، ولم يبق إلا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، كالإيمان بموسى وعيسى عليهما السلام.

وبعض أهل الكتاب متعصبون حاقدون خلطوا بين التوحيد والتثليث، وحرفوا في الكتاب وغيروا، ونسبوا لله ولداً أو شريكاً، ثم صيروه هو الإله، وهؤلاء يصعب معهم الجدل وقد لا ينفع

(70) التفسير المنير (7 / 21)

(71) المرجع نفسه (7 / 21)

(72) المرجع نفسه (7 / 21)

معهم النقاش، ومع ذلك ندعوهم إلى الإيمان والتي هي أحسن، لأنه لا إكراه في الدين، والإسلام يقر بحرية الرأي والتعبير والاعتقاد، بعد التبليغ والإنذار، والترغيب والترهيب»⁽⁷³⁾.

سادساً: إبراز النماذج المهدية أو القريبة من الحق

وذلك بذكر من آمن منهم أو كان طالباً للحق ولم يبق بينه وبين الإسلام إلا إظهاره، لأن ذلك يوهن من عزيمة المعاندين ، ويفتح الباب لمن كان بعيداً عن طريق الهداية ، وخاصة إذا كان المهتدي من أكابره، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩٩﴾ [آل عمران: 199]، يقول الزحيلي : «أخبر الله تعالى عن طائفة من أهل الكتاب اهتدوا بالقرآن، كما اهتدوا بما عندهم من هدي الأنبياء، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي، وقد وصفهم الله بصفات ممتازة هي:

1. الإيمان بالله إيماناً صادقاً تاماً.
 2. الإيمان تفصيلاً بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الكتاب الإلهي الوحيد الباقي السالم من التحريف.
 3. الإيمان إجمالاً بما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل.
 4. الخشوع لله وهو ثمرة الإيمان الصحيح، ومتى خشع القلب لله خشعت النفس كلها.
 5. عدم اشتراء شيء من متاع الدنيا بآيات الله، أي يحافظون على الوحي كما هو دون كتم شيء منه من البشارة بمحمد ﷺ وصفته وبعثته وصفة أمته دون تحريف ولا تبديل.
- فهؤلاء المتصفون بهذه الصفات سواء كانوا هودا أو نصارى لهم الثواب الكامل على أعمالهم وطاعتهم عند ربهم الذي رباهم بنعمه وهداهم إلى الحق ... هذه الصفات وجدت في بعض اليهود وهم قلة مثل عبد الله بن سلام ، وأمثاله من أحبار اليهود ، ولم يبلغوا عشرة أنفس،

وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق، كما قال تعالى: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا: إنا نصارى»⁽⁷⁴⁾ .

سابعاً: بين الترغيب والترهيب

لأنهم يؤمنون بالله ويعلمون أن هناك حساباً وجزاءً بعد الموت ، فكان لابد من الوعظ والتذكير القائم على الترغيب والتحبيب حال ظهور بوادر الاستجابة ، والاتباع من جهة، والتخويف والترهيب حال الإعراض والنكوص من جهة أخرى، يقول الله تعالى في جانب الترغيب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66] .

يقول الزحيلي : «ولو أنهم عملوا من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير بما في التوراة والإنجيل المنزليين من عند الله بأصل التوحيد، المبشرين بالنبى من ولد إسماعيل، وعملوا بما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن، لوسع الله عليهم رزقهم، وأنزل عليهم من خيرات السماء، وأخرج لهم من بركات الأرض، كما قال تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض [الأعراف 7 / 96] قال ابن عباس: لأكلوا من فوقهم يعني لأرسل السماء عليهم مدرارا ومن تحت أرجلهم يعني يخرج من الأرض بركاتها»⁽⁷⁵⁾ .
وفي جانب الترغيب والتحذير يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47]، يقول الزحيلي : «هددهم إن لم يفعلوا بطمس الوجوه والرد على الأدبار، فتجعل على هيئة أدبارها وهي الأفقاء، مطموسة مثلها، عديمة الإبصار، أو بالهلاك أو المسخ كما أهلك أصحاب السبت من اليهود، أو مسخهم قردة وخنزير»⁽⁷⁶⁾ .

(74) التفسير المنير (216 /4) يتصرف.

(75) التفسير المنير (254 /6).

(76) المرجع نفسه (103 /5).

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره فإن الباحث قد توصل إلى عدة نتائج وتوصيات، وهي كالآتي:

النتائج:

- 1- أن الدعوة إلى الله تشمل جميع الناس على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم، وأهل الكتاب هم من أكثر الفئات انتشاراً في العالم، وهذا يوجب على الدعاة العمل ليل نهار من أجل نشر الإسلام إليهم وإقامة الحجة عليهم.
- 2- (إن عليك إلا البلاغ) شعار كل داعية مع مدعويه، لأن له الأثر الجميل وفيه رفع للمعنويات وإبقاء للأمل؛ فالداعية لا ييأس من دعوته لكثرة وانتشار الكفار من أهل الكتاب ، فالمطلوب منه هو إبلاغ دين الله لهم.
- 3- أن أثر أهل الكتاب في الصد عن سبيل الله كبير؛ لكثرتهم وسيطرتهم على الوسائل المؤثرة كالإعلام والمال، فكان لزاماً على الدعاة إلى الله الإعداد الذي يتناسب مع هذا الواقع حماية لبيضة الإسلام..
- 4- إبراز المنهج القرآني في طريقة التعامل مع أهل الكتاب، وأن الله قد أبان الموقف منهم وذكر حكمهم.
- 5- الحذر كل الحذر من ذوبان عقيدة الولاء والبراء مع كثرة الاحتكاك بأهل الكتاب، وأن البر معهم لا يقتضي محبتهم.
- 6- الاستفادة من الجوانب الحسنة من أهل الكتاب ، لدعوتهم إلى الإسلام وخاصة النصارى فهم أقرب للمؤمنين من اليهود والمشركين بنص القرآن.

التوصيات:

- 1- الاهتمام بدراسة كتب التفسير دراسة دعوية والجمع بين التفاسير المتقدمة والمتأخرة لتكوين الأصالة والمعاصرة، في سبيل الرجوع إلى المصدر الأصلي من مصادر الدعوة وهو كتاب الله سبحانه.
- 2- التوصية بدراسة فقه الدعوة المتعلقة بأهل الكتاب من خلال كتب السنة والسيرة النبوية حتى يكون هناك ربط بين الكتاب والسنة في كيفية التعامل مع هذا الصنف من المدعوين.
- 3- إقامة الدورات العلمية والتدريبية للدعاة ، لتدريبهم على معرفة أحوال المدعوين، وأن أساليب الدعوة تختلف باختلاف المدعوين.

المصادر والمراجع

- 1-القرآن الكريم
- 2-البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- 3-التجانس اليهودي والشخصية اليهودية، المسيري، عبد الوهاب محمد، دار الهلال، مصر، العدد (647) ، 1425هـ.
- 4-تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي، صالح بن الحسين الجعفري (ت ٦٦٨هـ)، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1419هـ.
- 5-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت:1436هـ)، دار الفكر، دمشق، ط1، 1411هـ.
- 6-تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت:٤٨٨هـ)، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1415هـ.
- 7-سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت:279)، مراجعة: أحمد محمد شاکر وآخرون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، بيروت، ط2، 1395هـ.
- 8-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت:256هـ)، مراجعة: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ.
- 9-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261هـ)، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1374هـ.
- 10-مجلة البيان من العدد (344) ربيع الثاني 1437هـ.
- 11-مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود (ت:٢٠٤هـ)، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1، 1419هـ.
- 12-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط

وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

13- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط2، 1392هـ.